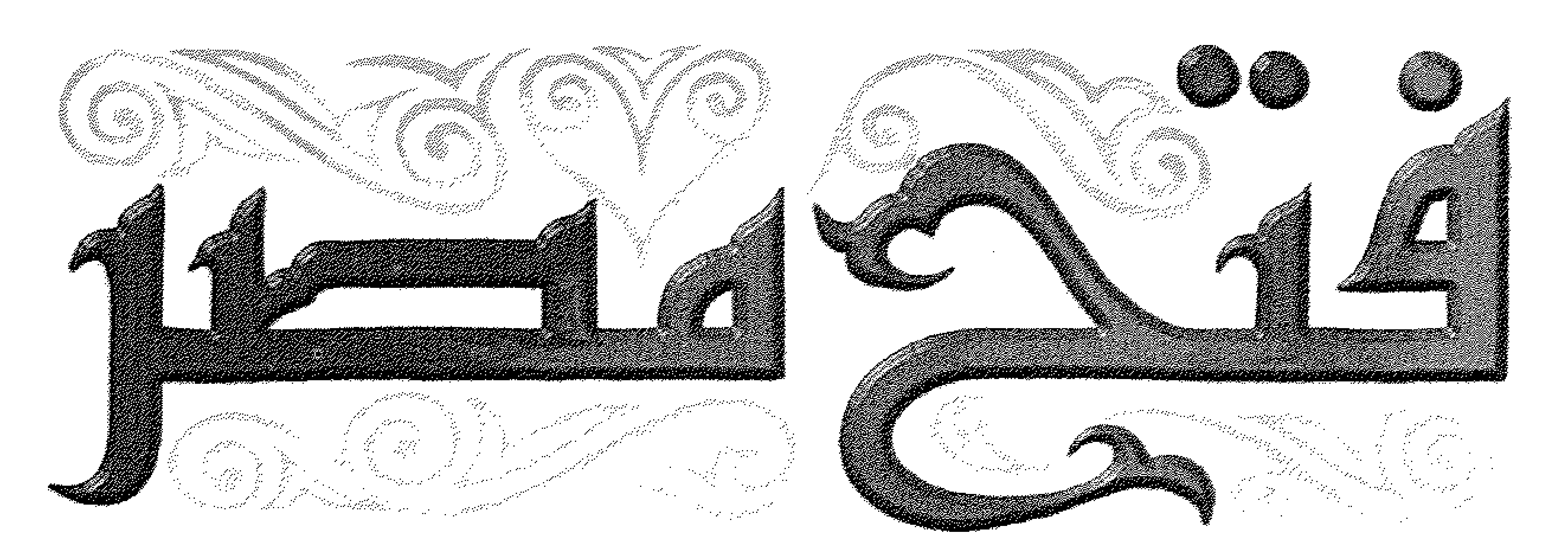
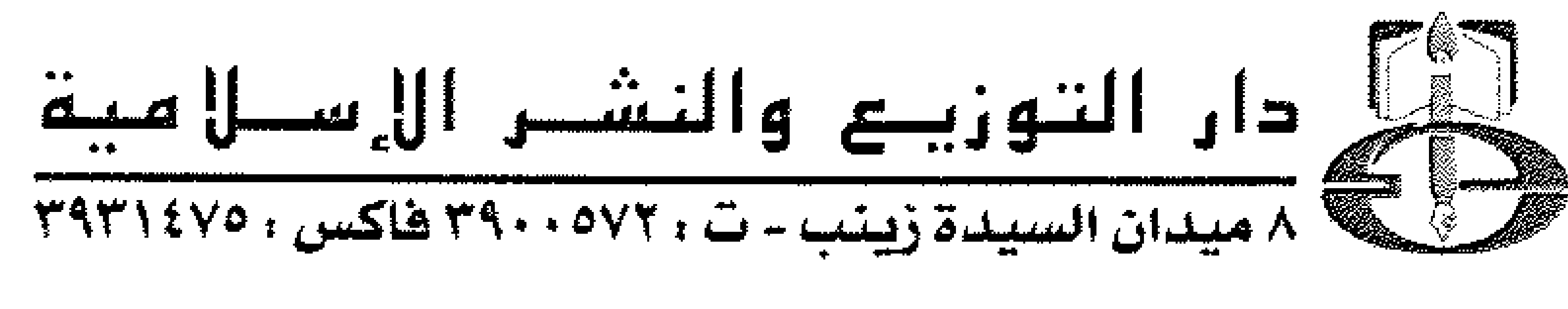


د/ جمال عبد الهادى



نحو وعي سياسي
وتاريخي واستراتيجي

الفتوحات الإسلامية

في عهد
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

فتح مصر

(20 هـ / 641 م)

إعداد
أ.د. جمال عبد الهادي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى (سابقًا)

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى :

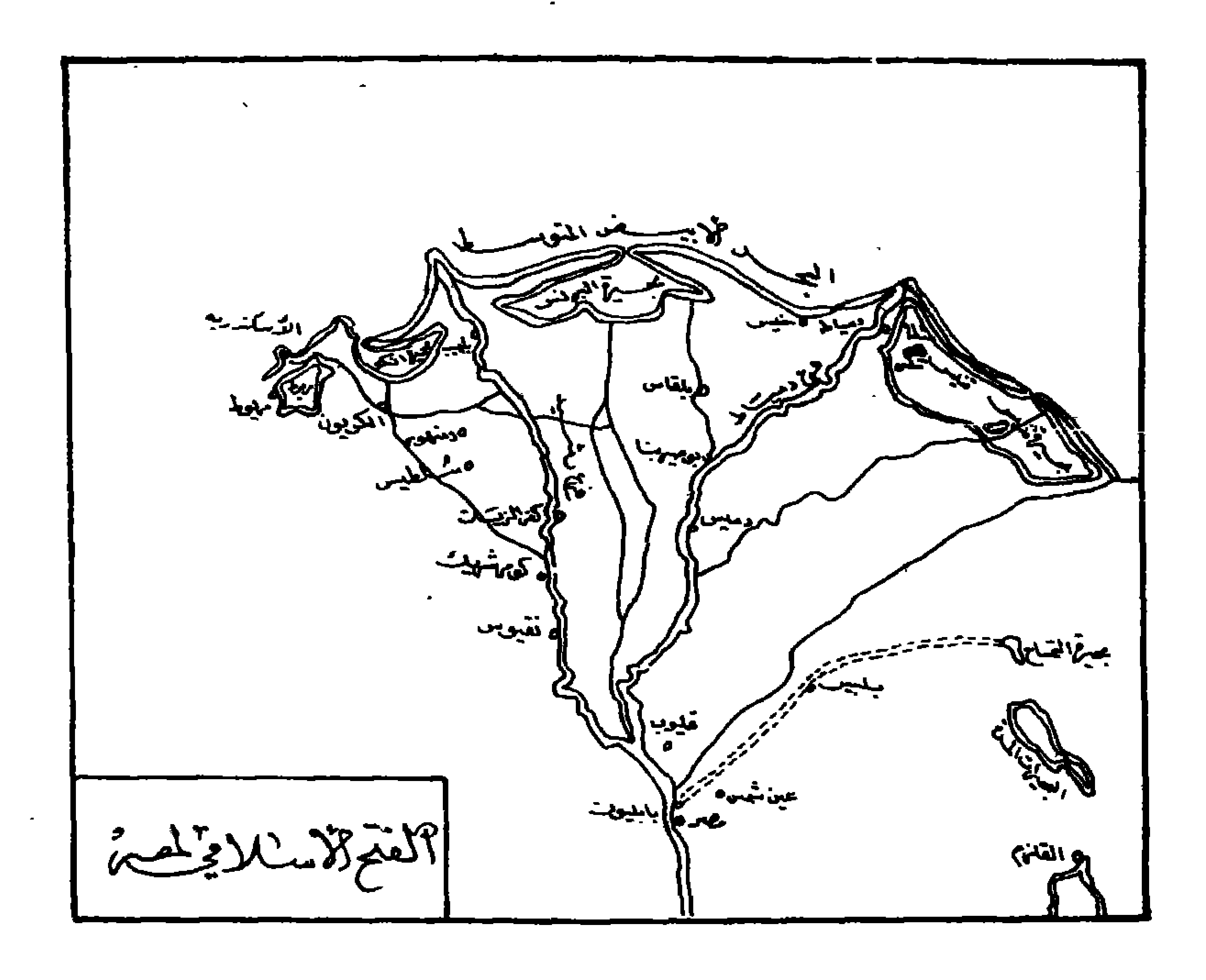
﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ (البقرة - 256)

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«ستفتحون مصر ، وهى أرض يُسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمةً ورحمًا»

(رواه مسلم)

وفى رواية : **«فاستوصوا بقبطها خيراً، فإن لهم صِهراً وذمةً»** **(الطبرانى)**



خريطة توضح سير الفتح الإسلامي لمصر في عهد
الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة عمرو بن العاص

تقـــديـم
مرور أربعة عشر قرناً على الفتح الإسلامى لمصر

الحمـد لله والصلاة والسـلام على محمـد خاتم الأنبـياء والمرسلين. . وبعد،

فإن من حق البشرية اليوم أن تحـصل على صورة صحيحة لتاريخ البشر على الأرض، ومن الإجرام فى حقها تزوير ذلك التاريخ، وإعطاءها معلومات مضللة وخاصة فى مجال العقائد ومن الأمـانة العلمـيـة، أن يمتنع العلمـاء ، وخـاصـة الذين يرسـمون للناس صـورة القـرون الخوالى عن تقـديم كتـابات يعلمون أنها غير صحـيحة، كما أنه من واجب القادرون إزالة أخطاء التاريخ وإزالة آثارها وتصـحيحها التـصحيح الواجب،

لأنه ليس من مصلحة الإنسانية أن ترى الحياة كلها من زاوية واحدة، لا تكشف عن كل جوانبها، وأن تسودها فكرة خاطئة عن ماضيها وحاضرها وأن تجهل الدوافع الكاملة لسيرها وتحركها، والقيم الأساسية لحياتها وحاضرها، لأن هذا الجهل لينشيء أخطاءًا عميقة الأثر ، لا في التصور والتفكير ولكن في علاقات الأمم بعضها ببعض، وفي علاقات الكتل الدولية بعضها ببعض ، كما ينشيء أخطاء بعيدة المدى في تكييف سياسة كل أمة وتوجهاتها ، هذه الأخطاء ينشأ معظمها عن سوء دراسة التاريخ البشرى ، وسوء تقدير الدور الذى قام به الإسلام والذى يمثله العالم الإسلامى ، هذا العالم يمثل وحدة إنسانية شاملة لها كل خصائصها المستقلة ويمثل قوة إنسانية ثابتة لا يؤثر ضعفها الطارئ إلا تأثيراً عارضاً في وزنها الحقيقى وسوف يكون لهذا التصحيح قيمة فى حساب المصلحة الإنسانية العامة .

فكم لأخطاء التاريخ من أثر فى إقامة الحواجز بين بعض الأمم وبعض العناصر وبعض الكتل ، وكم لها من أثر فى

سوء تقدير الجماعات للجماعات والأجناس للأجناس والأفراد للأفـراد ، والعقـيـدة والمبادىء والحـضـارات وكل هذا يؤذى البشرية فى حاضرها ويؤذيها فى مستقبلها.

ومن أجل هذا كانت هذه الرسالة ، وهى عبارة عن قراءة فيما يكتبه أساتذة التاريخ فيما يتصل بالفتح الإسلامى لمصر، نُذَكِّر من خلالها بالحقائق التالية:

أولاً : شعب مـصر ينتسب فى الأصل إلـى المسلمين من ذرية الناجين من الطوفان مع نوح عليه السلام.

ثانيًا : شعب مـصر يدين بالإسلام منذ أن وطأت أقـدامه أرض وادى النيل فى وقت لا يعلمـه إلا الله رب العـالمين ، وقبل مـيلاد إبراهيم ومـوسى وعيـسى عليهم السـلام بقرون طويلة .

- وحينمـا حدث الإنحراف فى عـقائد الناس تعـهد الله شعب مصر برسولين يدعوان إلى الإسلام هما يوسف وموسى عليهـما السلام . وعلى يد يوسف عليه السـلام أسلم شعب مصر وملك مصر وأخضعوا حياتهم لمنهاج الإسلام وشريعته.

يقـول رب العـالمين على لسـان يوسف الرسـول المسلم عليـه السلام ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف : 101) .

وعلى يد موسى عليـه السلام أسلمت امرأة فرعـون آسية بنت مزاحم وسحرة فرعون وغيرهم . يقول رب العالمين على لسان موسى عليـه السلام لقومه : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤)﴾ (يونس – 84) . وقد أهلك الله فرعون من أجل هذه القـلة المسلمة ومكن للإسلام وأهله . يقـول ربَ العـالمين : ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾ (الأعراف : 136 ، 137) .

إذن الإسلام على أرض مصر أصيل أصالة شعبها وأرضها(1).

وبعد ثلاثة عشر قرنًا من الزمان من رسالة موسى بعث عيسى عليه السلام برسالة الإسلام : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (آل عمران - 52) .

ثالثًا : وبعد رسالة عيسى عليه السلام بستة قرون بعث محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام الخاتمة إلى العالمين ، تحقيقًا لبشارة الله على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ (الصف : 6) .

وبعدها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسائل إلى الكثير من الزعماء والأمراء فى عصره يدعوهم إلى الإسلام ،

---

(1) تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم العصور فى مصر والعراق د. وفاء محمد رفعت - د. جمال عبد الهادى - دار الوفاء للطباعة والنشر .

ومن هؤلاء جريج بن متى[1] الملقب بالمقوقس ملك مصر والاسكندرية :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط (أى المصريين) سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : 64).

ورد المقوقس رداً جميلاً ؛ فهمت ما تدعو إليه ، وعلمت أن نبيًا بقى ، وقد كنت أظن أنَّه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسلك وبعثت إليك بجاريتين لهما مقام فى القبط عظيم وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام .

والملفت للنظر فى هذه الرسالة أنها لم توجه إلى الحاكم الرومانى الفعلى لمصر ، لأنه كان فى نظر الرسول محمد

---

(1) المعروف باسم قيرس ، وكان معيّنًا من قبل هرقل الحاكم الرومانى لمصر .

صلى الله عليـه وسلم مـغتـصبًا ومـحتـلاً لها ، ولا يجـوز الاعتراف بأحقـية المغتصب فيما اغتـصبه ولو مضى على ذلك سـبعـة قرون ، وإنما وجَّه رسـول الله صلى الله عليـه وسلم رسالته إلى أحد أبناء مصر (قيرس) وهو المقوقس عظيم القبط (أى المصريين) .

رابعًا : إنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة :

كـما أنـه صلى الله عليـه وسلم قـد أوصى أمتـه بمصـر وبشَّرها بالفتح ونبَّهـها إلى أهميـة تحريرَها من قبضـة الرومان وإبلاغها دعوة الإسلام - وهذه من المبشرات ودلائل النبوة -: **«ستفتحون مصر ، وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمّة ورحـمًا ، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان على لقـيمـة ، فـاخرج منهـا»** (رواه مـــسلم) ، وفـى رواية **«فاسـتوصـوا بقبطـها خـيراً ، فإن لـهم صهـراً وذمة»** وصهر الأقباط (أى المصريين) إبراهيم عليـه السلام الذى تزوج بهاجر التى أنجبـت له إسماعـيل جد العـرب العدنانيين وجـد النبى صلى الله عليه وسلم. وذمة الأقباط مارية التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنجبت له ولده إبراهيم .

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبه إخوانه : **«إذا فتح الله عليكم مصر ، فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا، فذلك الجند خير أجناد الأرض» ، فقال أبو بكر : «ولم يا رسول الله ؟» قال : لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة»** .

وقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصين على تحقيق توجيهات النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان الفتح الإسلامى[1] لمصر عام 20هـ / 641م بقيادة عمرو بن العاص فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، وكان ذلك بداية للتحولات العظيمة التى وقعت فى حياة الشعب القبطى (المصرى).

خامسًا : أن لفظة قبطى تعنى مصرى ولا تعنى نصرانى . فلفظة قبطى مشتقة من الكلمات المصرية القديمة (الهيروغليفية) hi ka ptah والتى تعنى معبد أو منزل الإله فتّاح ، ثم تطورت ؛ هى كابتاح إلى ايجبتوس التى تطورت فى

---

(1) أصبحت مصر ولاية من ولايات الخلافة الإسلامية منذ عام 21هـ/ 642م وحتى عام 254هـ/ 868م حيث كان ولاة مصر يعينون من قبل الخلافة الإسلامية فى المدينة المنورة أو دمشق أو بغداد .

العربية إلى قبط .

ولا يفوتنا هنا أن ننوه أننا قد أفدت إفادة كبيرة من «دراسات فى تاريخ مصر الإسلامية» من إعداد أستاذين من أساتذة جامعة الأزهر هما الأستاذ الدكتور محمد جبر أبو سعدة ، والأستاذ الدكتور عبد الله إبراهيم راجح ، وكذلك ما نشر فى مجلة المنار الجديد تحت عنوان «الفتح الإسلامى لمصر بين سياسة الدولة ومسيرة الدعوة» إعداد الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس .

والله من وراء القصد .

المؤلف

المبحث الأول

حالة مصر قبل الفتح الإسلامى[1]

مصر تقع فى قبضة الاستعمار الرومانى لمدة سبعمائة عام تقريبًا ، والرومان (أجداد الأوربيين) يستنزفون ثروات الأمة ويستذلون رجالها ونساءها .

كانت مصر مستعمرة رومانية منذ عام 47 ق.م ، يحكمها حاكم عسكرى رومانى يقبض بيده على الشئون الإدارية والمالية والقضائية من مقره بالاسكندرية ، يعاونه ثلاثة فرق عسكرية رومانية يدفع نفقات إقامتها الأقباط (أى المصريون) ، أى أن مصر قد فقدت استقلالها السياسى .

كانت مصر تعتبر مخزنًا لمد روما[*] بالغلال ، لقد كان على شعب مصر أن يكدّ ويكدح لخدمة هؤلاء المستعمرين ،

---

(1) بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

(*) كان معدل ما ترسله مصر إلى روما سنويًا ، حوالى ستة ملايين أردب قمح أى حوالى ١٣٥ ألف طن أى ثلث ما تحتاجه من القمح سنويًا ؛ بل كان على مصر أن تطعم جيش الاحتلال الرومانى المقيم بأرضها .

ويدفع أكثر مما يعود عليه من الأرض ، ضرائب وأتاوات ، ضريبة الرأس(**) وهى طابع العبودية وضريبة على الحيوانات والأملاك العقارية وما تحتويه من أثاث ، وضريبة على التجارة، وضريبة على من يدخل مصر أو ينتقل بين أقاليمها وضريبة على التركات ، وضريبة على الحمالين ، وضريبة لشراء تاج لكل حاكم جديد ، ذلك غير تسخيرهم فى الأعمال التى يحتاجها الرومانى المستعمر . فى ظل الاستعمار الرومانى عانى الأقباط من طبقية صارخة تتمشى مع سياسة الرومان الاستعمارية القائمة على مبدأ فرق تسد ، الطبقة العليا المواطن الرومانى أو المستعمر الرومانى ، منهم رجال الإدارة والجيش وكبار رجال الأعمال ويتمتعون بكافة الحقوق المدنية والسياسية .

أما الأقباط وهم الغالبية ، فقد حكمهم الرومان حكمًا ظلومًا غشومًا واثقلوهم بالضرائب والالتزامات القاسية ومنعوهم من استخدام لغتهم حتى فيما بينهم وحرموا عليهم

(**) كانت مقدرة على البالغين من سن الرابعة عشرة حتى الستين . فى حين كان يعفى منها الطبقات العليا المؤلفة من الرومان والإغريق واليهود .

الجندية ، أما رجال الدين فقد لاقوا من الرومان الأمرين سواء فى عهد وثنية الرومـان أو بعد اعتناقهم المسيحـية ، ثم وقفوا موقف العداء الصريح من رؤساء الكنيسة المصرية .

الرومـان (أجـداد الأوربيـين) يضطهـدون الأقباط ويمنعوهم من ممارسة شعائر دينهم ، والأقباط يهربون إلى الصحراء لمباشرة شعائر دينهم .

النصرانية ديانة غير مسموح بها فى نظر الرومـان ، وعيسى عليه السلام ليس رسولاً فى زعمهم إنما هو ثائر متمرد يستحق القتل .. هذه نظرة الروم أجداد الأوربيين أصدقاء العرب الأوفياء !!

فى ظل الاحـتلال الرومـانى الاستـبدادى لمصـر ، فقـد الأقباط حريتهم العقـدية والفكرية ، وأجبروا على التعبد إلى آلهة الدولة الرومية الوثنية ، وحينمـا اعتنق بعض أقباط مصر «النصرانية» بعد بعثة المسيح عليه السلام أزعجت هذه الظاهرة

الروم الوثنيين ، فـأخذوا يضطهدون الأقباط الـنصارى حيث كثر جمعهم فى القرن الثانى الميلادى ، واشتد أذاهم حتى بلغ حدًا مخيفًا جدًا فى أواخـر عهد الأمبراطور الأوربى (الرومى) دقلديانوس (ت 305م) .

أى أن ديانة عيسى عليه السلام لم تكن مسموحًا بها ، بل إن حكام رومية كـانوا لا يعترفون بنبوة عيـسى عليه السلام ، ويعتـبرونه ثائرًا متـمردًا يستـحق القتل ، وأتباعـه طائفة ينذر نموها بالخطر على الحكم الرومى .

وحينما أصبحت النصرانية ديانة معترفًا بها ، تنفس أقباط مصر الصعداء ، لكن سرعـان ما تبددت آمالهم ، حينما وقع الخلاف بين النصارى فيما يتصل بطبيعة السيد المسيح ، فمنهم من ذهب أنه له طبيعتين آلهـية وبشرية ، ومنهم من قال أنه له طبيـعة آلهـية واحـدة ، وقد اعـتبر حكام رومـا (أبناء أوربا) الكنيسة المصـرية كافرة وخارجـة على عقيدة الروم الصحـيحة على حـد زعـمهـم . وقد لقى نصـارى مـصـر هولاً وعنتًا شديديـن من المقوقس (قـيرس) الذى عيـنته سلطة الاحـتلال الرومى لجمع الناس على العقيدة الرومية ، ففشل فى مهمته ،

فلجـأ إلى القـسوة والعنـف مع الأقبـاط النصـارى مما اضطر بطريرك اليعاقبة (بنيامـين) إلى الهرب والاختفاء فى الصحراء الغربية ثلاثة عشر عامًا ، لم يخرج من مخبئة إلا بعد أن أمنّه المسلمون الفاتحون .

* * *

المبحث الثانى

أنموذج لشهادة بعض الأساتذة المتخصصين عن الاضطهادات التى كان يعانى منها الأقباط (نصارى وفلاسفة ويهود) على يد قوات الاحتلال الرومانى والبيزنطى (47 ق.م) وقبل الفتح الإسلامى [1]

(1) نقدمها لأحفاد الروم والبيزنطيين الذين يرفعون شعارات الدفاع عن الأقليات النصرانية المضطهدة على أرض مصر وغيرها، نعرضها على أبناء الأقليات ليدركوا أن الأمن والأمان لم ولن يتحقق لهم إلا فى ظل وكنف الدولة الإسلامية . (والمراجع المعتمد عليها آخر المقال) .

ذكر أحد الأساتذة المتخـصصين فى تاريخ مصر نماذج من هذه المعاناه مؤيدة بمصادر أجنبية وعربية[1] ، فقال :

«انتشرت المسيحيـة فى مصر (فى ظل الاحتلال الرومانى) فى القـرن الأول الميلادى بعـد أن تسربـت إليهـا من فلسطين القريبة منهـا ، وزاد أنصارها بسرعة فى القرن الثـانى وخاصة فى عهد الامبراطور كومودوس (180 - 192م)» .

«غير أن الرومـان نظروا إلى قوة المسيحيـة فى مصر نظرة ارتياب باعتبارها مصـدرًا للفوضى وإثارة التمرد على الحكومة الرومانية ومحاولة هدم كيانها» .

«غير أن أول اضطهاد شامل وجّهته الامبراطورية الرومانية ضد المسيحية فى مصـر بدأ فى عهد الامبراطور دكيوس (249 - 251م) عندما أصدر مرسومًا فى سنة 250م يقضى بأن يقدم أهالى مصـر ما يثـبت أنهم قدمـوا القرابين للآلهة الـوثنية . بهـدف الوقوف على أتبـاع الديانة المسيـحيـة الذين يدفعـهم

(1) لقد كـان الرومان ينظرون إلى الأقبـاط أى المصريين الخـاضعين لهم وغـيرهم من الشعوب برابرة .

إخلاصهم لها للامتناع عن تقديم القرابين للآلهة الوثنية ، الأمر الذى يعرضهم للإدانة والحكم عليهم بالموت».

وواصل الكاتب حديثه : «ومما يلفت النظر أن أتباع المسيحية المخلصين فى مصر لقوا أشد أنواع التنكيل راح ضحيته عدد كبير من الشهداء» .

«وقد بلغ الاضطهاد مداه فى عصر دقلديانوس (284 - 305م) . . وذكر الكاتب أن عدد الذين قُتلوا من المصريين على يد قوات الاحتلال الرومانى يبلغ الآلاف ، وقد تركت بشاعة الاضطهاد أثرًا عميقًا فى مصر والمصريين» .

«وحينما ظهر النزاع المذهبى بين رجلين من رجال اللاهوت هما آريُوس وأثناسيوس حول طبيعة المسيح، تبنى قسطنطينوس (353م) المذهب الآريوسى وأمر بطرد أثناسيوس من كرسى الاسكندرية ، ولكن الأخير رفض تنفيذ الأمر مما دفع سريانوس قائد قوات الاحتلال العسكرى الرومانى لمصر إلى مهاجمة الكنيسة مقر أثناسيوس وقتل الكثيرين من أفراد الشعب ، وهرب أثناسيوس وقضى معظم وقته مختفيًا بين الرهبان أو فى أديرة مصر» .

ولما اختـار الآريوسيـون جورج الكبـادوكى بطريركًا على الاسكندرية ، بدأ سلسلة من الإجراءات العنيفة لإرغام الناس على قبول المذهب الآريوسى ، واستـخدم القوة العسكرية فى سـحق كل أولئك الذيـن رفـضـوا اعـتناق مـذهبـه ، وذلك بتعذيبهم أو قتلهم أو نفيهم» (ص 30) .

«ولما تولى جـسـتـيـن الأول (518 - 527م) عـرش الامـبـراطورية البـيزنطـية ، كـان على كـرسى البطريركـيـة الاسكندرية تيمـوثاوس الثالث (517 - 535م) . وقد حـاول الامبراطـور إرغام البطريرك على قبول مـذهب الطبيعيـتين ، ولكن الأخير رفض فأمر الامـبراطور بطرد تيموثاوس بطريرك الاسكندرية ونفيـه ، وجرت بسبب ذلك مذبحـة مروعة راح ضحيـتها الآلاف من الأقباط الذين حاولوا حـماية بطريركهم من أيدى الجنود الرومانيين ، ولكن جنود الاحـتلال الرومانى تمكنوا من القبض على البطريرك ونفيه (ص43)» .

«وعندما تولى الامـبرطور جسـتنيان عرش الامـبراطورية البـيـزنطيـة ، حـاول فـرض المذهب الخلقـيـدونى (مـذهب الطبيعتـين) على بطريرك الاسكندرية ثيودوسيوس الأول (535

– 567م) ، ولما رفض الأخير ، أرسل الامبراطور بدلاً منه بطريركًا ملكانيًا أى تابع للمذهب الخلقيدونى هو بولس التبنيسى (536 – 539م) لتولى كرسى الاسكندرية ، فلما وصل بولس لم يقبله المصريون وأطلقوا عليه يهوذا الخائن الذى استخدم ضد المصريين من وسائل الاضطهاد ما لم يستخدمه السابقون ، فصار يلقى بالمصريين فى الحمامات ليكونوا وقودًا لتسخين مياهها (ص 44)» .

وحينما تولى هرقل أمر الامبراطورية البيزنطية (610 – 641م) عين بطريركا على الاسكندرية وهو أسقف يدعى قيرس Cyrus ويعرف عند مؤرخى العرب باسم «المقوقس» ، ليكون قادرًا على قهر الأقباط ، وهو من الذين اعتنقوا مذهب الإرادة الواحدة .

وبمجرد وصول قيرس إلى الاسكندرية فى خريف 631م ، هرب البطريرك بنيامين . أما قيرس فحاول أن يشرح للمصريين المذهب المونوثليتى ، على أنه لم يلق منذ البداية التوفيق ، وكان نصيبه الفشل الذريع ، ومن ثم أخذ قيرس يضطهد المصريين اضطهادًا رهيبًا استمر عشر سنوات . مثال

ذلك ما حدث لمينا شقيق البطريرك بنيامين ، فقد تعرض للتعذيب ، بأن أوقدت المشاعل ، وسلطت نارها على جسمه ، فأخذ يحترق ، حتى «سال دهنه من جانبيه على الأرض» ولكنه لم يتزعزع عن إيمانه ، فخلعت أسنانه ثم وضعوه فى كيس مملوء بالرمل ، وحمل فى البحر ثم رموه ، فمات غرقًا»(٤٩) .

وذكر كاتب آخر(*) . . نماذج من الاضطهادات التى كان يتعرض لها الأقباط فى ظل الاحتلال الرومانى والبيزنطى لمصر (عهد تراجان - 180م ، وسبتيموس سيفيروس - 193م، ودكيوس - 249م ، فاليريان - 254م ، ودقلديانوس - 284م):

«عام 68م هاجم الوثنيون كنيسة الأقباط شرقى الاسكندرية وقتلوا القديس مرقص بعد أن جروه بالحبال فى شوارع المدينة حتى مزقوا لحمه .

(*) هذا البحث مقتبس من أوراق مصورة من مرجع فاتنى لم أدون عنوانه ومؤلفه ، ووجدت مشقة فى معرفته ، فلصاحبه الأجر والمثوبة من الله .

وتعاقبت الاضطهادات واستخدم الأباطرة الرومان مع النصارى عمومًا ومع شعب مصر على وجه الخصوص كافة ألوان التعذيب الوحشى من حرق وجلد وصلب وسلخ ونشر ورجم وتقطيع أعضاء وتهشيم أسنان وضرب بالسيوف وإلقاء إلى الوحوش المفترسة وسجن وغيرها مما لا يدخل تحت حصر من صنوف القسوة .

وازداد الأباطرة ونوابهم على المستعمرات غيظًا ، فبعد أن كانوا يعمدون إلى قتل الأفراد أخذوا يبيدون قرى ومدنًا بأكملها بما فى ذلك الكنائس ، وكان بطارقة الكنيسة القبطية وعدد وافر من أساقفتها ورهبانها وعلمائها وقودًا لهذه المجازر الرومانية .

وقد تواصلت حملة الاضطهاد ضد الأقباط حتى بعد أن أعتنق الأباطرة النصرانية بسبب الانقسام الذى وقع بين كنيسة روما الكاثولوكية والاسكندرية الارثوذكسية حول طبيعة المسيح» .

ولم يقف الأمر عن حد اضطهاد الرومان للأقباط

النصارى، بل إن الأقباط كانوا يضطهدون الفلاسفة واليهود ، والدليل:

«حينما اختير البطريرك كيرلس ليتولى أمر كنيسة الاسكندرية (412 – 444) فى عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثانى (408 – 450) بدأ عهد الانقضاض على الهراطقة ، وأغلق كنائسهم ، وصادر أموالهم، ثم هاجم اليهود فى المدينة، وأجرى مذبحة مريعة فيهم ، وكان كيرلس على رأس المظاهرات التى اشتعلت ضد اليهود ، وتوجه بها إلى معابدهم، فهدمها رأسًا على عقب ، وطارد كل يهود المدينة، ونهب أموالهم دون أن يرده أحد (ص35)» .

كما حاول كيرلس القضاء على المدارس الفلسفية والوثنية التى دأب فلاسفتها ومفكروها على مهاجمة الكنيسة بشدة . وكانت هيباتيا الشخصية البارزة لأفكار تلك المدارس ، وكان أن إتهمها الرهبان الثائرون بالسحر والوثنية . وفى مارس سنة 415م قبض عليها بعض الرهبان وقادوها إلى كنيسة قيصريوم حيث قتلوها شر قتلة (ص36)» .

تعليقه :

وبعد . . قد آن لنا أن نتساءل :

هل تعرض الأقباط (المصريون بما فى ذلك النصارى) لأى نوع من أنواع هذه الاضطهادات فى ظل الحكم الإسلامى منذ عهد عمرو بن العاص رضى الله عنه (20هـ - 641م) وحتى عصر السلطان عبد الحميد الثانى آخر خلفاء الدولة العثمانية[1] 1326هـ/ 1908م) ؟

هل تعرض أقباط مصر لما تعرض له المسلمون على يد الصرب الأرثوذكس فى البوسنة والهرسك وكوسوفا ؟

هل تعرض أقباط مصر لما تعرض له شعب العراق على يد الأمريكان والانجليز ومن عاونهم من أبناء أوروبا ؟

لقد آن لنا أيضًا أن ندرك أن الرومان الذين أذاقوا الأقباط

---

(1) على اعتبار أن سياسة الدولة العثمانية بعد الانقلاب العسكرى الذى أطاح بالسلطان عبد الحميد الثانى كانت تدور فى فلك القوى الاستعمارية الصهيونية وإن كان على رأس الدولة خلفاء صوريين (أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الدولة العثمانية، ج 2 ، د. جمال عبد الهادى محمد ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر).

أشد صنوف العـذاب ، هم الذين نرى أحفـادهم فى مجلس العموم البريطانى ، والكونجـرس الأمريكى ، والإعلام الغربى يتباكون على حقوق الأقباط المضيعة فى مصر وغيرها من بلاد العـالم ويطالبـون بالتدخل لحـمـايتـهم ، إنهم الذئاب الذين يرتدون مـسوح الغنم لإشـاعة الفتن فى ربوع مـصر الحـبيـبة والعالم الإسلامى . فهل نفـيق قبل أن تُستدرج الأمة إلى فتن تأكل الأخـضـر واليـابس ؟ ، ويكـف الطابور الخـامس عن الحديث عن عما يسمونه حقوق الأقباط المهضومة ؟

المبحث الثالث

الأسباب التي دفعت المسلمين إلى فتح مصر

أولاً : أداء واجب البلاغ والدعوة إلى الله امتثالاً لأمر الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (المائدة – 67) .

ثانيًا : إقامة دين الإسلام نظامًا حياتيًا شاملاً على أرض الله كلها ومنها مصر ، يقول الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ (الصف – 9) . ويقول سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء – 107) .

لقد آمن المسلمون أن لهم مهمة هى امتداد لمهمة محمد صلى الله عليه وسلم التى عبّر عنها ربعى بن عامر بين يدى القائد الفارسى رستم : «إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار ، ومن جور الأديان إلى

عـدل الإسـلام» وهى نفس الكلمـات التى رددها عـبـادة بن الصامت بين يدى المقوقس عظيم القبط .

لقد اعتقد المسلمون أن مـقتضيات الإسلام ، توجب على المسلمـين تحريـر الإنسان والديار والثـروات من قـبضـة الروم المغتصبين ، سفاكى الدماء ومنتهكى الأعراض ، وإن أى تراخ فى دفع العدو الصائل وطلـب العدو المحارب يمكن أن يؤدى إلى عواقب وخـيمة ، خـاصة أن هذا العدو لا يعـرف معنى للحيـاة بدون الغدر وسفك الدمـاء وامتصاص دمـاء الآخرين وثرواتها .

ثالثًا : بالإضافة إلى ما سبـق فإن مطاردة قوات الاحتلال الرومـانى بأرض مصـر والشمال الأفـريقى ضرورى حـتى لا يتمكن العدو من حصار بلاد الشام وجزيرة العرب من الجنوب والغـرب ، بل وأيضًا حـرمان العـدو من الانطلاق من ثغـور مصر والاسكندرية وطرابلس الغرب لمهـاجمة ثغور بلاد الشام الإسلامية .

كما أن فتحها كما أخبر عمرو بن العاص يمكن أن يكون

للمسلمين عونًا لهم لكثرة خبراتها ، ويهيىء أيضًا قاعدة آمنة لفتح الأندلس وما وراءها[1] .

رابعًا : تحقيق بشارة النبى محمد صلى الله عليه وسلم : **«ستفتحون مصر ، وهى أرض يُسمّى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرًا ، فإن لهم ذمّة ورحمًا»** .

أمير المؤمنين يشاور إخوانه فى فتح مصر :

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعقد مؤتمرًا عسكريًا بالجابية سنة 17هـ (638م) بعد فتح الشام وتسلم مفاتيح القدس للتشاور فى أمر فتح مصر كخطوة أولى باتجاه أفريقيا .

عمرو بن العاص يقدم معلومات متكاملة عن الخريطة النفسية والفكرية والسياسية والعسكرية لمصر . أمير المؤمنين يتخذ القرار بفتح مصر مع إسناد عملية التنفيذ إلى جيش الفتح الإسلامى بقيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه .

* * *

(1) دراسات فى تاريخ العرب ، تاريخ الدولة العربية ، أ.د. السيد عبد العزيز سالم ، ج 2 ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ص 212 وما بعدها .

المبحث الرابع

الله رب العالمين يأذن فى تحرير مصر على يد الصحابة بعد بعثه ﷺ

وقد وصلت طلائع الفتح الإسلامى (أربعة آلاف مجاهد) بقيادة عمرو بن العاص السهمى إلى مصر (العريش) فى ذى الحجة سنة 18هـ أول المحرم سنة 19هـ / يناير 640م ولم تشر المصادر إلى قتال حدث عند فتحها . وبعدها واصل الفاتحون السير إلى الفرما ومنها إلى بلبيس حيث استطاع المسلمون أن يقهروا جند الروم بقيادة الأرطبون ويفتحوا المدينة .

وفى جمادى الآخرة سنة 19هـ / 6 من يونيو سنة 640م وصل مدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ويبلغ إثنا عشر ألفًا من الجنود ، وكان يقود هذا المدد أربعة من كبار الصحابة : الزبير بن العوام الأسدى ، وعبادة بن الصامت الخزرجى ، والمقداد بن الأسود ، ومَسْلَمة بن مخلّد ، وقيل خارجة بن حذافة العدوى دون مَسْلَمة .

وحاصر المسلمون حصن بابليون حيث تتمركز قوات الاحتلال الروماني ومعهمْ المقوقس ، الذي أرسل رسلاً يستطلعون أحوال المسلمين ، ولما رجعوا سألهم :

«كيف رأيتموهم ؟ قالوا : «رأينا قومًا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم ويتخشعون في صلاتهم» . ولا أزيد على أن أقول إن محاربين هذه مبادئهم وأخلاقهم وتقاليدهم لجديرون بتحقيق أروع الانتصارات» .

وعندئذ قال المقوقس : «والذي يُحلف به ؛ لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتالهم أحد . ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم ، وهم محصورون بهذا النيل ، لم يجيبونا بعد اليوم إذا مكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم» .

المقوقس يطلب وفداً من المسلمين لمقابلته :

أرسل المقوقس[1] إلى القائد عمرو بن العاص : «أرسل إلينا أحدًا من عقلائكم ، حتى نتكلم معه ، ما يكون فيه أمر الصلح بيننا وبينكم» ؛ فأرسل إليه عمرو بن العاص ، عشرة من الصحابة ، وكبيرهم عُبادة بن الصامت ، رضى الله عنه، وكان أسود اللون ، وقيل المقداد بن الأسود .

فلما دخلوا على المقوقس استصغر قدر عبادة بن الصامت لسواده ، فقال المقوقس : «نَحُّوا عنى هذا الأسود ، وقدّموا غيره يكلّمنى» ، فقالوا : «هذا الأسود أفضلنا ، وهو سيدنا»، فقال المقوقس لعبادة : «تقدم يا أسود ، وكلّمنى برفق ، فإنّى أهاب سوادك» ، فتقدَّم عبادة إليه ، وقال : «قد بعثنا الأمير عمرو بن العاص على إحدى ثلاث خصال : إمّا تدخل فى الإسلام ، وإمّا تعطى الجزية ، وتكون آمنًا على

(1) فتوح مصر وأخبارها، ابن عبد الحكم أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أيمن القرشى المصرى، تحقيق محمد الحجيرى - دار الفكر بيروت - ص 143 وما بعدها.

نفسك من القتل ، وإمّا نقاتلك وتقاتلنا ولا ثَمَّ لها وجه رابع» . فقال المقوقس : «إن عساكر الروم ما لا يحصى عددهم ، وأنا أخشى أن يقع بينكم القتال ، فيقتلونكم عن آخركم ، وقد طابت أنفسنا أن نصالحكم ، صونًا لنا ولكم من القتل ، على أن نفترض أن يكون لكم على كل رأس من القبط ديناران، ولأميركم مائة دينار ، ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وترحلوا عنا إلى بلادكم ، قبل أن تحاط بكم عساكر الروم» .

فقال عبادة بن الصامت : «يا هذا أما تخويفك لنا بعساكر الروم من القتال ، فنحن أرغب ما نكون فى قتالهم ، فإن ظفرنا بكم ، فلله الحمد ، وإن ظفرتم بنا ، فنحن أشوق إلى لقاء الله تعالى ، والمسير إلى الجنّة، وأما ما ذكرته من المال ، فنحن قوم لا نبالى بالمال ، إنْ كَثُر ، ولا إنْ قلّ» .

فقال المقوقس : «أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال»؟ فقال عبادة : لا ورب السماء والأرض ، فاختاروا لأنفسكم منهم خصلة» .

وشاور المقوقس إخوانه ، فرفضوا عرض المسلمين ، وقرروا المواجهة .

المسلمون ينزلون خسائر فادحة بقوات الإحتلال الرومانى فى مصر ، وأقباط مصر كانوا يريدون الصلح بدون قتال لو لا ضغط امبراطور الروم :

وبدأت المناوشات ، ولقن المسلمون الروم دروسًا قاسية فى الهزيمة ، ولهذا طلب المقوقس الصلح وبدأت المفاوضات ولم يغير المسلمون من شروطهم ، واختار الروم دفع الجزية مع الخضوع والإذعان ، وكتبت شروط الصلح ، على أن تعرض على الامبراطور فى العاصمة القسطنطينية ، كى يوافق عليه ويقره ، وتعهد المقوقس بصفته نائب الامبراطور بأن يقوم بإرسالها إليه .

واستمر حصار المسلمين لحصن بابليون لمدة سبعة أشهر ، تلقى أثناءه المقوقس رسالة من الامبراطور الرومى (هرقل) يأمره بأن يقاتل المسلمين ويذكره بأن لديه مائة ألف من الرومان (جنود الاحتلال) فى مصر مجهزين للقتال ، وحذر الامبراطور المقوقس من مخالفة تعليماته .

لكن المقوقس لم يأبه لرد الامبراطور ، ورفض تنفيذ تعليماته وأرسل إلى القائد عمرو بن العاص يعلمه بأنه على استعداد لعقد الصلح مع المسلمين رغم رد الامبراطور ، جاء فيها :

«إنى لم أكن متخل عما دخلت فيه وعاقدتك عليه ، إنما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى ، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت من قبلهم نقض ، والقبط متم ومُوَفّ لك الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم، وأما الروم فأنا برىء منهم»[1] .

وبعدها فتح[2] الحصن أبوابه للمسلمين يوم الجمعة السادس من شهر أبريل سنة 641م/ ربيع الثانى سنة 20هـ) على أن يخرج الجنود الرومان من الحصن بدون السلاح فى

(1) وهو يعتمد على كتاب ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ، 104 ، 105 ، بسام العسلى ، عمرو بن العاص ص 58-60.

(2) رأى الزبير خللاً فى سور الحصن ، فنصب سُلّمًا وأسنده إلى الحصن وقال : «إنّى أهب نفسى لله تعالى ، فمن شاء أن يتبعنى ، فليفعل» ، فتبعه جماعة حتى أوفى على الحصن فكبر وكبروا ، فلمّا رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، ففُتح الحصن أبوابه للمسلمين .

مدى ثلاثة أيام إلى حيث شاءوا .

شـروط الصلح وعهـد الأمـان الذى أعطاه عـمرو بن العـاص لأهل مصر بقيادة المقوقس ، وقد جاء فيه :

«بسم الله الرحـمن الرحـيم : هذا مـا أعطى عمـرو بن العاص أهل مصـر من الأمان على أنفسهم وملتـهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبِهِمْ وبَرِّهِم وبَحْرِهِمْ ، لا يدخـل عليهم شىء من ذلك ولا يُنتقص ولا يُساكنـهم النُّوْب ، وعلى أهل مصر أن يعطَوا الجزية إذا اجتمـعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم ، خمسين ألف ألف ، وعلـيهم ما جنى لصوتهم فإن أبى أحدٌ منهم أن يجيب رُفع عـنهم من الجزية بقدرهم وذمّتنا ممن أبى بريئة. وإذا نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رُفع عنهم بقـدر ذلك . ومن دخل فى صلـحهـم من الروم والنُّوْب فله مـثل ما لهـم ، وعليه مـثل مـا عليهـم ، ومن أبى واختـار الذهاب ، فهـو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يـخرجَ من سلطاننا، عليهم مـا عليهم أثلاثًا فى كل ثلث جباية ثلث مـا عليهم . على ما فى هذا الكتـاب عهد الله وذمـة رسوله وذمة الخليـفة أمير المؤمنين ، وذمم المؤمنين . وعلى النوبة الـذين استجابوا

أن يُعينوا بكذا وكـذا رأسًا وكذا وكذا فـرسًا ، على ألا يُغزوا ولا يُمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة» . «وشـهد عليه الزبير وعبد الله ومحمد ابناه . وكتب وردان[١] وحضر» .

قوات الفتح الإسلامى تواصل تحركها باتجاه الاسكندرية :

وبعدها توجه عمرو بن العاص إلى الاسكندرية - بعد أن استـخلف على مصر خارجـة بن حذافة العدوى - وكـان بها حـاميـة رومانيـة لا يقل عددها عن خـمسين ألف جندى ، يعـاونهم الأسطول البـيـزنطى فى البـحر المتـوسط ، وكـان الحصار، وكـان الفتح صلحًا[2] فى سـنة 20 هـ/ أوائل شـهر نوفمبر عام 641 م على أن يرحـل المسـتعـمـر الرومـانى عن مصـر إلى غير رجـعـة ، ودخل المسـلمون الاسـكندرية فى شـهر شـوال سنة 21 هـ / 17 سبتمبر 642 م .

---

(1) تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر مـحمد بن جرير الطبرى (224 - 310هـ) ، ط 4 ، دار المعـارف القـاهرة ، ص 109 ، البداية والنهـاية ، ابن كثـير (ت - 774) ، دار ابن كثير - بيروت - لبنان - جـ7 - ص 98 ، الكامل فى التاريخ، لابن الأثير (630هـ) - دار الكتاب العربى - بيروت - جـ2 - ص 396 ، بناة دولة الإسـلام (41 - 50) ، مـحمـود شاكـر ، المكتب الإسلامى ، بيـروت 1409، ص 55 - 56 .

(2) وقيل إن عمرو فتح الاسكندرية بالسيف بعد حصار وقتال استمر ثلاثة أشهر .

انتقاض الروم (الأوربيين) فى الاسكندرية :

صدق الله العظيم : ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢)﴾ (التوبة : ١٢) .

إن الروم بالاسكندرية قوم غُدُر ، والدليل أنهم كاتبوا امبراطور الروم يهونون عليه العودة إلى الاسكندرية لقلّة ما بها من حامية المسلمين . فبعث قسطنطين رجلاً من أصحابه فى ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة (الروم) ، فدخل الاسكندرية وقتل من بها من المسلمين المرابطين إلا من استطاع النجاة بنفسه .

وبلغ عمرو الخبر فسار إليهم ، وكان (منويل) قائد الروم قد تقدّم نحو الجنوب ورجاله يعيثون فى الأرض فساداً : ينزلون القرى فيشربون خمرها ويأكلون أطعمتها ، حتى وصلوا نَفْيوسُ (بين الاسكندرية وبابليون) ، اشتبكوا بالمسلمين الذين كان عددهم خمسة عشر ألفًا بقتال عنيف فى البر والبحر ، وكثر الترامى بالنشاب حتى أصابت فرس عمرو، فنزل عنه .

وشدد المسلمون على الروم وقـاتلوهم قتالاً مستميتًا حتى غلبـوهم على أمـرهم ، فانهـزم الروم ، وطاردهم المسلمـون فتـحصن الروم بالاسكندرية ، ولكـن المسلمين قاتـلوهم أشد قتال ونصبوا المجانيق حتى دخلها المسلمون عنوة» .

وكانت هذه آخـر المعارك التى أدرك العـدو الرومى بعدها أنه لا قِبل له بمواجهة المسلمين ، ولا أمل له فى احتلال مصر مرة أخرى(1) .

أى أن مصر تحـررت من الاحتلال الرومانى بعد سبـعمائة سنة على يد قوات الفـتح الإسلامى على عهد الخليـفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

«وبهذا التاريخ أصبحت مصر جزءاً من العالم الإسلامى، واستـمرت على هذا النحـو طيلة عهـد عمـر وعثمـان وعلى رضوان الله عليـهم أجمعيـن ، وطيلة العهد الأموى والعـهد العبـاسى والعهد العثـمانى (حتى عهـد السلطان عبد الحمـيد الثانى (1908 م 1326 هـ) ، ودخل أقباط مـصر فى دين الله

---

(1) قادة فتح الشام ومصر ، ص 143 - 145 .

أفواجًا كما ذكر توماس أرنولد ، والسبب أن الأقباط أدهشهم المسلمون بدعوتهم إلى الإسلام ، الذى يمتاز بالعقيدة السهلة والفكرة الواضحة التى لا تستعصى على الفهم ولا تمتنع على عقل الإنسان ، لكل إنسان أن يتأملها ويتفهمها فيدركها إدراكًا لا شائبة فيه ، فكانت الحقيقة المرة - كما شاء أن يصفها بتلر - أن كثير من أهل الرأى العقلاء لجأوا إلى الإسلام فاعتصموا بأمنه واستظلوا بوداعته وطمأنينته وبساطته» .

«كما أسلم الكثير من الروم الذين رفضوا العودة إلى روما وآثرو البقاء فى ظل العدل الإسلامى . وتعلم الأقباط اللغة العربية ، لغة الدين والثقافة والحضارة ، لم يجبرهم أحد على ذلك ، وإنما جاء ذلك نتيجة طبيعية لاعتناق الإسلام ، وأطلق المسلمون الحرية الدينية وأصدر عمرو بن العاص بيانًا بعد تمام الفتح» :

«أينما كان بطريق القبط بنيامين ، نعده بالحماية والأمان ، وعهد الله فليأت البطريق إلى هاهنا فى أمان واطمئنان ليلى أمر ديانته ويرعى أهل ملته» .

«لقد أمن الأقباط (أى المصريون) فى ظل الحكم الإسلامى على عقائدهم وأعراضهم وأموالهم وأولادهم ، وتمتعوا بحقوق المواطنة المدنية والسياسية ، وانتهى عهد السيطرة ، وألغيت كل أنواع الضرائب التى فرضها المستعمر الرومانى» .

«وحينما بلغ البطريرك بنيامين إعلان الأمان الذى أصدره الفاتحون المسلمون للأقباط ، خرج من مخبئه ودخل الاسكندرية بعد غيبة استمرت ثلاثة عشر عامًا ، ظل فيها مختفيًا بعيدًا عن ظلم الرومان وعسفهم ، عاد بنيامين ليجد الحال فى مصر فى ظل الحكم الإسلامى غير الحال فى ظل الحكم الرومانى ، والناس غير الناس ، فما كان أسعده بهذا التغيير العظيم الذى شمل بلاده ورعاياه من الأقباط ، فما ملك مشاعره وأطلق أحاسيسه لتعبر عما يجيش فى صدره من الغبطة والبهجة ، فقال : «كنت فى بلدى وهو الاسكندرية فوجدت بها أمنًا من الخوف ، واطمئنانًا بعد البلاء ، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم (يقصد الرومان) ، ثم وصف قومه (أى شعب مصر) بأنهم فرحوا كما يفرح الأسخال إذا ما حلت لهم قيودهم ، وأطلقوا ليرتشفوا من

ألبان أمهاتهم» .

«أما حنا النقوسى ذلك الأسقف المتعصب - فلم يملك إلا أن يقول وهو يتحدث عن عمرو بن العاص : «إنه لم يضع يده على شىء من ملك الكنيسة ، ولم يرتكب من النهب أو الغصب ، بل إنه حفظ الكنائس وحماها إلى آخر حياته» .

لقد أصبح القبط فى مأمن من الخوف الذى كان يلجئهم إلى إنكار عقيدتهم أو إخفائها تقية ومداراة ، لقد حرص المسلمون على تمكين الأقباط من ممارسة عبادتهم وإقامة شعائرهم فى كنائسهم ، أما عن بناء الكنائس الجديدة فيذكر ابن عبد الحكم أن أول كنيسة بنيت بفسطاط مصر كانت فى أيام مَسْلَمة بن مخلد (47 - 62 هـ) . وقد ذكر سعيد بن بطريق فى تاريخه : أن عبد العزيز بن مروان كان له فراشون نصارى ملكية ، فأستأذنوا فى بناء كنيسة لهم ، فأذن لهم فبنوا كنيسة مار جرجس بحلوان وكانت تسمى كنيسة الفراشين، وكان له كاتب يعقوبى فأستأذن فى بناء كنيسة فأذن له أن يبنى كنيسة فى قصر الشمع» .

«وفى سنة 117 هـ أذن والى مصر الوليـد بن رفاعة (109 - 117 هـ) للنصارى فى ابتناء كنيسة لهم بالحمراء» .

«وهكذا تحققت لنصارى مصر الحرية الدينية بأكمل معانيها بعد الفـتح الإسلامى ، فمن جانب عـدم تدخل المسلمين فى المذهب الذى يدين به هؤلاء وأولئـك ، إلى حمـاية الكنائس جـميـعًا ، إلى مسـاعـدتهم فى بناء ما تـهدم منهـا فى سنى العـذاب المريرة فى ظل الحكم الرومـانى ، إلى الإذن لهم فى ابتناء الكنائس الجـديدة ، وأخيـرًا إلى تركـهم يحتـفلون بكل مناسباتهم الدينية المتعددة» .

* * *

المبحث الخامس

مصر فى ظل الفتح الإسلامى

رخاء اقتصادى وأمان اجتماعى وتقدم علمى

«وفى ظل الحكم الإسلامى نشطت الصناعة ونمت الزراعة والتجارة وأصبحت الاسكندرية أكبر أسواق العالم وأكثر الثغور ازدحامًا وحركة وكانت بها تجارة عظيمة فى القمح الكتان والورق والزجاج والعاج من بلاد النوبة وأثيوبيا ، وكانت فوق ذلك تصب فيها سلع وبضائع الهند والصين» .

«ولم يبق من الضرائب الكثيرة والمتعددة التى كان يتحملها الأقباط طيلة عهد الاحتلال الرومانى (600 سنة) إلا ضريبة الخراج وهى ضريبة تؤخذ على أنواع المال : الزراعى والصناعى والتجارى .

والجزية (ديناران) وهى تؤخذ من الشباب القادر على الكسب نظير الدفاع عنه وهى بمثابة تأمين للمعاش بعد أن يكون عاجزًا عن الكسب . ولا تؤخذ من الشيخ الفانى

والصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا النساء» .

«لقد أدرك المسلمون ، أهمية دور مصر فى حركة التجارة العالمية ، وأدركوا كذلك أهمية الدور الكبير الذى تلعبه التجارة الداخلية فى هذه الحركة العالمية ، فاهتموا بها اهتمامًا عظيمًا ، وأتاحوا للتجار الأقباط أن يأخذوا مكانتهم فى تجارة مصر ، وهيأوا لهم حرية التجارة فى الميدان التجارى ، لم يكن لهم أن يتمتعوا بها من قبل فى ظل الاحتلال الرومانى» .

«كما أن المسلمين أبقوا على مختلف النظم التى عرفتها مصر منذ أقدم العصور ، وأطلقوا لأهلها حرية العقيدة ، وأمَّنوهم على أنفسهم وأموالهم . وتركوا لهم سائر الوظائف والصناعة والزراعة والأعمال ، واكتفى المسلمون بالإشراف على شئون الدولة والقضاء والشرطة وقيادة الجيوش والحكم . كل ذلك كان باعثًا قويًا لكثير من المصريين على الدخول فى الإسلام ، وصار لزامًا عليهم أن يتعلموا اللغة العربية حتى يستطيعوا قراءة القرآن وفهم أحكام الدين الإسلامى ، والانخراط فى سلك الدواوين التى بدأت حركة تعريبها على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه» .

«وما أن انسلخ القـرن الثالث الهجرى (التـاسع الميلادى) حتى دانت الغـالبية العظـمى من أهل مصر بالإســلام وبقيت أقلية نصـرانية وأضـحت اللغة العـربية لغة كل المـصريين فى الدواوين والتخاطب والعبـادة والثقافة والفكر والعلم ، يتكلم العربـية ويتعـامل بها كل المـصريين سواء كـانوا مسلـمين أو نصارى أو يهود» .

وهكذا وجد الأقباط فى المسلمين غير ما كانوا يجدونه من البيـزنطيين الرومان ، فأقـبلوا فى حماس دافق يتـعاونون مع المسلمين فى إدارة شئون مصر ، يـحفزهم أنهم كانوا يومـئذ أكثرية بـين العاملين فى شتى الوظائف بأنحاء الـبلاد ، كانوا يملـكون الأرض ، ويزرعـــونهــــا دون تدخل من السـلطة الإسلامية الحاكمة ، وكـانوا يديرون اقتصاد البلاد ، بل كانوا رؤسـاء المالية طوال الـعصـر الأموى وكـانت سـائر الوظائف المدنية بأيديهم . ولهذا كان تقدير النصارى للمسلمين عظيمًا، وقابلوا الـفضل بالعرفـان والتقـدير ، وإخلاصهم فـى العمل الذى ولاهم إياه المسلـمون . ونـعمت مـصـر بالاسـتـقـرار واستـمتع أهلها بهـدوء الحياة التى لا يشـوبها كدر الخـلافات

الدينية ولا يشوب بهجتها مشكلات سياسية أو اقتصادية» .

«وقد هيأ الفتح الإسلامى لمصر أن تقوم بدورها التاريخى المنتظر منها فى إعداد وتجهيز الجيوش البرية والأساطيل البحرية وبعثها إلى أفريقية والمغرب ثم الأندلس ليتحقق للمسلمين السيادة على مياه البحر الأبيض المتوسط ، وتحقيق الأمن والأمان لكل إنسان ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ . (الأنعام : ٨٢)

لماذا انتصر المسلمون وفتحت لهم الأمصار ؟

«سأل هرقل أحد جنده الذى كان أسيراً لدى المسلمين ، ثم منوا عليه بإطلاقه : أخبرنى عن هؤلاء القوم؟ فقال : أحدثك كأنك تنظر إليهم ، فرسان بالنهار رهبان بالليل ، ما يأكلون فى ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون الا بسلام ، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه . فقال هرقل : لئن كنت صدقتنى ليرثن ما تحت قدمى هاتين»[1] .

---

(1) الطبرى - جـ3 ، ص 602 .

وقد ذكـر الكاتب نقلاً عن الدعـوة إلى الإسلام ص 128 عن الأقبـاط فى مصر : «ملئـوا مناصب الوزراء والكتاب فى دواوين الحكومـة ، وحددوا قـيمـة الضرائب التى تجـبى على الأرض التى تعطى على سبيل الالتزام، وجمـعوا ثروة ضخمة فى بعض الحـالات ، ولقد أمـدنا تاريخ كنيسـهم بكثيـر من الأمثلة عن رجـال الكنيسة الذين تمتعـوا بعطف الأمراء الذين حكمـوا بلادهم ، ونعم القبـط فى عهـدهم بأقصى درجـات الطمأنينة (ص 74)» .

شهادة أرمانوسة القبطية بنت المقوقس وهى محصورة فى بلبيس :

«حينما حاصر المسلمون الجنود الرومان فى منطقة بلبيس، خشى النسـاء على أنفسهن من المسلمـين ، تصوروا منهن أن المسلمـين مثل المجـرمين الرومـان ، الذين يغتـصبون الـنساء وينتهكون الأعراض ، ولكن أرمانـوسة بنت المقوقس طمأنت النسوة وقالت لإحدى وصيفاتها :

«أنت واهمة يا مارية (وصيفـتها) ، أنت واهمة يا مريم !

أنسيت أن أبى قد أهدى إلى نبيـهم بنت أنصنا - مارية القبطية عليها السلام - فكانت عنده فى مملكة بعضـها السماء وبعضها القلب ، لقد أخبرنى أبى أنه بعث بهـا لتكشف له عن حقيقة هذا الدين ، وحقـيقة هذا النبى ، وأنهـا أنفذت إليه دسـيسًا يعلمه أن هؤلاء المسلمـين هم العقل الجديد الذى سـيضع فى العالم تمييزه بين الحق والباطل ، وأن نبـيهم أطهر من السحابة فى سمائها ، وأنهم جميعًا ينبعثون من حدود دينهم وفضائله، لا من حدود أنـفسهم وشـهواتهم ، وإذا سَلُّوا الـسيف سلُّوه بقانون ، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون» .

وقالت عن النساء : «لأَن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب مـن أن تخاف عليـها من أصـحاب هذا النبى ؛ فـإنهم جميـعًا فى واجبات القلب وواجبات العقل ، ويكاد الضـمير الإسلامى فى الرجل منهم يكون حاملاً سلاحًا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته» .

«وقالت لهـا أرمانوسـة أيضًا : «لقد أخبـرنى أبى أن هذا الدين سيـندفع بأخلاقه فى العـالم اندفاع العـصارة الحـية فى الشجرة الخـضراء ؛ طبيعـة تعمل فى طبيعـة ، فليس يمضى

وقت غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمى ظلالها»(1) .

وقد صدقت فراسة أرمانوسة ، إذ أن عمرو بن العاص أرسل أرمانوسة وجميع مالها وخدمها معززة مكرمة إلى أبيها المقوقس ، فى حراسة جند الإسلام بقيادة قيس بن أبى العاص السهمى .

* * *

(1) أ.د. عبد الحليم عويس ، الفتح الإسلامى لمصر ، المنار الجديد ، عدد يناير سنة 1998 ، ص 63 وما بعدها ، هو يعتمد على مصطفى صادق الرافعى ، من وحى القلم ، ص 36 ، وقصة اليمامتان ، نشر مهرجان القراءة ، عام 1995 ، مصر ، بسام العسلى ، عمرو بن العاص ، ص 52 : 53 .

المبحث السادس

قوات الفتح الإسلامي تواصل فتحها للأمصار

وقد وجَّه عـمرو بن العاص بعض إخـوانه لمواصلة الفتح داخل مصر :

فوجَّه عـبد الله بن حُذافـة السهـمى إلى عين شـمس ، فـغلب على أرضـهـا وصـالح أهل قـراهـا على مـثل صلح بابليون.

ووجَّه خارجة بن حُذافة العدوى إلى الـفيوم والأشمونين وإخميم والبَشَرُودات وقرى الصعيد ، فصالحها أيضًا على مثل صلح بابليون (الفسطاط) .

ووجَّه عمـير بن وهب الجمحى إلى تنيس ودمـياط وتونة ودَمِيرة وشطا ودَقَهْلَية وبنا وبوصـير فصالحهـا على مثل صلح بابليون .

ووجَّه عقبة بن عامر الجهمى ويقال وردان مولاه إلى سائر

قرى الأرض ففعل مثل ذلك . وبذلك استجمع عمرو فتح مصر .

كما وجَّه عقبة بن نافع الفهرى على رأس جيش إلى زويلة ، فلما وصلها دان كل من كان فيها وصالحهم.

وبعد أن أتم عمرو بن العاص رضى الله عنه فتح مصر توجه بنفسه إلى برقة فصالح أهلها ، ووجه رسالة بعدها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «إن الله قد فتح علينا أطرابلس وليس بيننا وبين أفريقيا إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل».

ولكن عمر رضى الله عنه رأى التريث حتى يتم نشر الإسلام وتربية الناس على الإسلام فى الأمصار المفتوحة[2] .

* * *

(2) قادة فتح الشام ومصر ، ص 140 - 141 .

المبحث السابع
الأقباط (المصريون) ينعمون بالعدل
بعد أن أعزهم الله بالإسلام

الدليل الأول :

حينما ضرب محمد أحد أبناء عمرو بن العاص (رضى الله عنه) قبطيًا (مصريًا) ، شكاه الأخير إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الذى استدعى الشاكى والمشكو فى حقه ووالى مصر عمرو بن العاص (رض الله عنه) ، وحينما تأكد من صحة الشكوى ، أعطى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الدِرَّة إلى القبطى الشاكى ليضرب ابن حاكم مصر ويقتص منه ، وبعد أن أخذ حقه أمره عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أن يمسح بالدرة على رأس والى مصر ، وحينما اعترض القبطى قائلاً لقد أخذت حقى ممن ضربنى يا أمير المؤمنين ، قال له عمر (رضى الله عنه) امسح بها على رأسه لأنه ما ضربك إلا بسلطان أبيه .

الدليل الثانى:

الذى يعكس العدل الذى نعم به الأقباط فى ظل الحكم الإسلامى :

قبطى (مصرى مسلم) يتهمه حاكم مصر - عمرو بن العاص - (رضى الله عنه) بالنفاق ، القبطى يشتكيه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يوجه خطابًا إلى والى مصر : من عمر بن الخطاب إلى العاصى بن العاص ، إذا ثبت إدعاء القبطى فأجلس ليضربك أربعين وقيل سبعين ، وثبت الإدعاء وجلس عمرو بن العاص ليقتص منه القبطى الذى قال : يا عمرو من يمنعك منى الآن ؟ فرد عليه : لا أحد ، امضى لما أمرك به أمير المؤمنين اقتص لنفسك ، فقال له القبطى : أُشْهِدُ الله يا عمرو أنى قد عفوت عنك ابتغاء مرضاة الله .

إنها نقلة كبيرة فى حياة الشعب المصرى الذى كان يعانى المهانة والاستذلال والظلم فى عهد الاحتلال الرومانى ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه أو عرضه ، بل ولا يستطيع أن يقاضى من ظلمه ، فلما أكرمهم الله بالإسلام ، وأعزهم بهذا

الدين ، أصبحوا لا يطيقون الظلم ويسعون لدفعه لأنهم عاشوا فى ظل الحكم الإسلامى الذى علمهم عدم جواز السكوت على الظلم ووجوب دفعه لقول النبى صلى الله عليه وسلم : «لو أخذوا على أيديهم لنجوا ونجوا جميعًا» .

* * *

المبحث الثامن

من المتطرف : المسلمون أم أعداؤهم .. أعداء الإنسانية ؟

هذه شهادة التاريخ فى ذكرى الفتح الإسلامى لمصر ، الفتح الذى لم يستحل دمًا لشيخ أو لراهب أو لطفل ، الفتح الذى لا يسمح بحرق نخلة أو شجرة مثمرة ، أو ذبح بهيمة إلا لمأكلة .

تتابع الذكريات فى وقت تتداعى الأمم على الأمة الإسلامية كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، يشيعون عنها التطرف والإرهاب ويستنصرون عليها الدنيا ويحشدون القوة لتمزيقها واحتلال ديارها ، وسيلتهم فى ذلك إشعال نار الفتنة الطائفية اعتمادًا على ضعاف النفوس من أبناء الأقليات ، ومن أجل هذا لابد من عمل مقابلة بين معاملة غير المسلمين للمسلمين فى مقابلة معاملة المسلمين لغير المسلمين .

*** معاملة ألفونس وايزابيلا[1] للمسلمين فى الأندلس**

بعد انهيار الحكم الإسلامى فى غرناطة الذى استمر يحكم الأندلس ثمانية قرون (92 - 892 هـ) . . أين الجامعات الإسلامية فى قرطبة وأشبيلية وغرناطة التى تعلم فيها أبناء أوربا علوم العصر ؟؟ إن الحكم الأسبانى الصليبى نصب محاكم التفتيش للمسلمين . . لقد أباد وشرّد ملايين من أبناء المسلمين وذلك غير انتهاك الأعراض وسلب الثروات والديار والأملاك والأموال . . لم يبق فى الأندلس إلا الدور والمساجد والمظاهر الحضارية علامة على أنه كان هناك مسلمون . . هل هذا تسامح ؟!! .

*** ماذا فعلت كاترين وإيفان قياصرة الروم الأرثوذكس بالمسلمين فى تتاريا[2] والقرم ؟**

*** ماذا فعل الثوار البلاشفة ستالين ولينين وغيرهم**

---

(1) مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس ، محمد على قطب ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، ديوان التحقيق والمحاكمات الكبير ، محمد عبد الله عنان ، دار الكتاب المصرى .

(2) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، محمود شاكر ، المكتب الإسلامى ، دمشق .

بالمسلمين . . إبادة وتشريد وانتهاك أعراض وسلب ثروات وديار وأملاك أربعة وعشرين مليون مسلم .

* **ماذا فعل عباد البقر الهندوس بالمسلمين** فى شبه القارة الهندية ، ماذا فعل الاستعمار البرتغالى والأسبانى بديار الإسلام[3] ؟ ضرب المساجد بالمدفعية ، مهاجمة مراكب الحجيج فى البحار ، التمثيل بالمسلمين وتخييرهم بين التنصر أو القتل ؟

* **ماذا فعل الاستعمار الأوربى الانجليزى** بشعب مصر[4] وشعب فلسطين وشعوب القارة الهندية . .؟ ماذا فعل الإيطاليون بالمسلمين فى طرابلس الغرب[5] (1913 م) . .؟ ماذا فعل الفرنسيون بالمسلمين فى سورية وتونس والجزائر

(3) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، أفريقيا يراد لها أن تموت جوعًا ، د. جمال عبد الهادى وآخرون ، دار الوفاء ؛ المجتمع الإسلامى المعاصر ، أفريقيا ، أ. على أحمد لبن ، جمال عبد الهادى ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة .

(4) مصر بين الخلافة العثمانية والاحتلال الانجليزى ، د. جمال عبد الهادى ؛ دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة .

(5) حاضر العالم الإسلامى ، ل. ستودارد ، ترجمة عجاج نويهض ، تعليق سكيب ارسلان ، دار الفكر ، بيروت 1972 ، ج2، صفحات 66 - 85 ، 129 - 135 ، 178 ، 228 .

والمغرب . .؟ قتل وتـنكيل وتشريد وسرقات واحـتلال البلاد وغصب للثروات .

*** ألم يقتل الأوربيون ثمانين مليون من الهنود الحمر** عند اغتصابهم للقارتين[1] الجديدتين (الأمريكتين) ؟

*** ألم تقم القوات الأمريـكية والانجليزية** ومازالت بصب أسلحة الدمـار الشامل على أطفـال وشعب العـراق فى بغداد سنة ١٤١٩هـ بعد أن مَزّقوه إلى ثلاث دويلات ؟

*** ألم يحـتل الانجليـز فلسطين[2]** ويعاونوا الصـهاينة مع الفرنسيين والألمان والروس والأمريكان على إبادة وتشريد ٤,٥ مليون فلسطينى واغتصاب أرضه ودياره ؟

*** ألم ينتـهك الصـرب عـرض 70 ألف امـرأة وفتـاة فى**

---

(1) الأساطير المؤسسة للسياسـة الإسرائيلية ، د. جارودى ، دار الغد العربى ، القاهرة . لمزيد من المعلومات : دراسات إسلامية (يا لجراحات الوطن الإسلامى ص 181) ، سيـد قطب ، دار الشـروق ، البوسنة والهـرسك جرح ينزف فـى جسـد الأمة المسلمة ، د. جمال عبد الهادى ، دار الوفاء .

(2) الطريق إلى بيت المقـدس ، ثلاثة أجزاء ، د. جمـال عبد الهـادى ، دار الوفاء ، المنصورة .

البوسنة والهرسك[1] ذنبهن الوحيد أنهن مسلمات ؟ ألم يشردوا مليون ونصف مسلم ؟ ألم يقتلوا ويعوقوا نصف مليون مسلم؟ .

وماذا يفعل الصرب الآن عام 1999 بشعب كوسوفا تحت سمع وبصر أمريكا وروسيا وأوربا ، وتحت سمع وبصر المنظمات الدولية ، إنهم يتبعون سياسة الأرض المحروقة ، ضرب المدنيين بالدبابات والطائرات والصواريخ والأسلحة المحرمة دوليًا ، إبادة وتشريد وانتهاك أعراض ، تمامًا كما فعلوا بإخواننا في البوسنة والهرسك ، وكما فعل الاستعماريون المجرمون أبناء أوربا بالمسلمين في كل بقاع الأرض عبر التاريخ (انظر الملاحق) .

أي إن الإنسان فقد حريته في ظلم الحكم غير الإسلامي، لا سياج يحمي وطنه أو عرضه أو عقيدته أو عقله أو ماله وصدق القائل : وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ، فكيف إذا

---

(1) البوسنة والهرسك جرح ينزف في جسد الأمة المسلمة ، د. جمال عبد الهادي ، الصربيون خنازير أوربا يحاولون إبادة الوجود الإسلامي في البلقان ، أ.د. عبد الحي الفرماوي ، دار الاعتصام ، القاهرة .

كان الذئاب هم الرعاة .

والبشرية ما فقدت الأمن والأمان إلا فى غياب الإسلام وتسلط المجرمين : فهل من عودة إلى الإسلام ؟

وبعد ...

فهذه تذكرة بمناسبة مرور أربعة عشر قرنًا على الفتح الإسلامى لمصر وتحريرها من قبضة الاحتلال الأوروبى ، وبعدها عاش أقباط مصر - مسلمون ونصارى - أمة واحدة للمسلمين دينهم وللنصارى دينهم .. فى ظل الحكم الإسلامى وسماحته آمنون مطمئنون .. إلى أن وقعت اتفاقية السلام المزعومة .. وتسلل أحفاد الرومان إلى أرض مصر .. يشيعون فيها الفتنة والخراب .. آملين العودة إلى عهد الاحتلال مرة أخرى ، وكأنما عز عليهم أن يخرجوا من أرض مصر بعد سبعمائة عام من الاحتلال ، فهيأوا أنفسهم للعودة مرة أخرى عبر إثارة الفتن بين أبناء الوطن الواحد مسلمين ونصارى ، ولكن هيهات هيهات .

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(يوسف-21) .

ولعل آخر ما نختم به هذه التذكرة من أحد الأساتذة جاءت في معرض حديثه عن الفتح الإسلامي لمصر، وكذلك شهادة اثنين من أبناء أوروبا : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق - 37) .

شهادة مؤرخ معاصر :[1]

«كانت آليات الجيش الإسلامي الفاتح وسياساته الأخلاقية في حربه وسلمه خير دعوة للإسلام بين أقباط مصر» .

ولما تعايش الأقباط والفاتحون المسلمون عن كثب رأى الأقباط في شريعة المسلمين وأخلاقهم ، مستوى عقديًا وتشريعيًا وأخلاقيًا عاد بهم - وبذكرياتهم التاريخية - إلى شخصية الرسول العظيم المسيح عيسى عليه السلام ، وإلى شخصيات أنبياء الله السابقين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام . فكان انتقال الأقباط إلى الإسلام يشبه العودة إلى الجذور ؛ فهم كما قال أحد النصارى لزوجته بعد إسلامه : «ما خسروا المسيح ، وإنما

---

(1) أ.د. عبد الحليم عويس ، المنار الجديد ، العدد يوليو، سنة 1998، ص 63-81.

كسبوا إلى جانبه محمداً عليهما السلام» .

وسار الإسلام بعقائده السامية الواضحة السهلة ، وشرائعه العادلة عـدلاً مطلقًا متساويًا بـريئًا من كل عنصرية ، لأن الله علمهم ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البـقرة - 256) ، ولم يصـبح الإسلام فى مـصر دينا للأغلـبية السكـانية إلا بعد قـرنين من الزمان ، ذلك لأنه لا يعـرف التعمـيد القسرى، ولا مـحاكم التفتـيش (الاستعمـارية) ولا الحكومات الشرطية «البـوليسى» القمعية التقدمية والاشتراكية القهرية التى تبشر الناس بالتعذيب ومـصادرة حـرياتهم - بعـالم سعـيـد يختـفى فـيه الأغنيـاء والمخالفون فى المذهب من الرجعيين !!

كلا ، فليس فى الإسلام هذا ولا ذاك . بل هو دين أنزله الله بمنهجية محددة ألزم بها رسوله صلى الله عليه وسلم قائلاً له فى كـتـابه الكريم : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ (الأنبـياء - 107) . وقـائـلاً له أيضًا : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ (البقرة - 272) و ﴿. . إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ . .﴾ (الشورى - 48).

ولقد حمل الفاتحون المسلمـون معهم - أينما حلوا - قيم

دينهم ، ولغتهم العربية لغة القرآن ، وسموهم الروحى والخلقى ، وحملوا معهم ثقافة إسلامهم .

وقد تجلت أصالة الإسلام فى استيعاب الحضارات القديمة، وتكييفها ثم فى خلقها خلقًا جديدًا وأصبحت الحضارة الإسلامية هى حضارة الشرق الأدنى والأوسط .

وقد كان التسامح الإسلامى سياسة عامة فى السلم وحتى فى الحرب فى كثير من الأحايين ، وكان هذا التسامح - المقرون بالمساواة والحرية إلا فى حالات الشك والريبة والخوف من الخيانة العظمى ضد الوطن الإسلامى - آية عظمى تفردت بها الحضارة الإسلامية فى مصر وغيرها . ولم يقتصر هذا التسامح على أهل الكتاب الذين هم أحق الناس بذلك ، بل امتد إلى غيرهم .

ولم يكن المسلمون الفاتحون محتلين مثل الروم أو الأوربيين ، بل كانوا أصحاب رسالة مُعمرين متحضرين ، ولم تكن حكومتهم حكومة عسكرية استغلالية ، لا يهمها سوى جمع المال ، والحفاظ على إبقاء البلاد مصادر لتوريد «المواد الخام» كما فعل المحتل الأوروبى الأثيم ، وهم -

كـذلك - لم يحولوا الأحـرار إلى عبـيد ، ولم يعـودوا إلى بلادهم ، ويرسلوا المندوب السامى يحكم باسمهم يجلب لهم من البـلاد المحـتلة الأموال والـثمـار والمواد الخـام ، بل على العكس من ذلك ، فلقد نقل المسلمون عـواصمهم إلى البلاد التى فتحوها ، كما انتقلت كثير من القبائل العربية إلى البلدان المفـتوحة ، واسـتقـرت فى المدن والقرى وعلى الحـدود وفى أقـصى المناطق النائيـة ، واخـتلطوا بشـعـوب هذه البلدان ، وتزاوجوا وانصـهروا معًا حتى أصـبحت هذه الشعوب شـعبًا واحدًا ، تدين بدين واحد ويرتدى - فى الغالب - زيًا واحدًا أو لباسًا متماثلاً ، ويشعر بشعور واحد ويتثقف بثقافة واحدة.

وعلى الرغم من اختلاف الدين يشعر الجميع بأنهم يركبون سفينة واحدة هى سفينة الوطن الإسلامى، وتنتظمهم بالحق - حضـارة وثقافة واحدة ، هى حـضارة عالم الإسلام ، ثقـافة الإسلام التى تمثل منظومة إنسـانية أخلاقية لها طعـمها الخاص وسماتها الخاصة ، فى عاداتهـا وتقاليدها وغاياتها ، إنها ذات طعم روحى وأخلاقى فى مواجهة عالم المادية الغربية .

وبالإسلام انتقلت مصر من قرية رومانية زراعية إلى رائدة للعالمين العربى والإسلامى وذلك بالطبع فى اللحظات التاريخية التى تعى فيها ذاتها ، وتدرك مكانتها ورسالتها ، وتجد القيادة المنتمية غير المستلبة وغير المنسحقة ، القيادة الواثقة بقدرة الله ، وبأن الله أكبر ، وفى أن الإسلام كلمة الله الخاتمة ، ورسالة الرحمة والعدل والمدنية والإنسانية الصحيحة.

لقد تحقق لمصر هذا غير مرة ، تحقق لها فى «حطين» بقيادة صلاح الدين الأيوبى ، وتحقق لها فى «عين جالوت» بقيادة سيف الدين قطز تحت راية «واسلاماه» . . وأخيراً تحقق لها فى العاشر من رمضان تحت راية «الله أكبر» .

ومازالت مصر قادرة على ذلك - بإذن الله - عندما تتوافر لها شروط إقلاع التاريخ ، أى عندما تعى ذاتها ورسالتها ؟؟

*** ماذا فعل الأوربيون بالمسلمين فى عهد الحروب الصليبية وفيما بعدها بقرون ؟**

ما جرى منهم عند فتح القدس من ذبح ٧٠ ألف مسلم

فى المسـجد الأقصى حـتى سبـحت الخيل إلى صـدورها فى الدماء .

ومن استئـصالهم شأفة المسلميـن فى الأندلس ، وصقلية وجنوبى فرنـسا وسردانيـة ، مع أنهم كانوا يحـصون فى هذه البلدان بالملايين ، التاريخ شاهد بصحة مـا نقول ، فقد عفى الأوربيون كل أثر للإسلام فى أوربا ولـم يرضوا أن يبـقى فيها مسلم واحـد ، حال كـون الترك - العثـمانيـون المسلمون - (الذين قـال عنهم أبناء أوربا إنـهم برابرة) بقى تحت ولايتـهم ملايين من المسـيحيـين من جميع الأجناس كـانوا يقدرون فى أوقات عديدة أن يستـأصلوهم أو أن يحملوهم على الجلاء ، كـما فـعل ملوك أسـبانيـا وفـرنسا بالعـرب (المسلمـين) فى الأندلس .

وقد يقـال إن الذى منع الترك عن حـمل النصارى الذين كـانوا تحت سـلطانهم على الإسـلام أو الجـلاء هو الشـرع المحـمـدى الذى يمنع الإكـراه فى الدين ويرضى من المعـاهد بالجزية ، وهذه حقيقة .

وقالوا إن السـلطان سليمـان القانونى كان فـكر فى سوء

العاقبة من بقاء الملايين من الأروام والبلغار والأرمن وغيرهم فى الممالك العثمانية ، وأحبّ إخراجهم ، وقيل بل السلطان سليم ؛ وكل مرة كان يعترض فى ذلك شيخ الإسلام ويقول: ليس لنا عليهم إلا الجزية .

والجواب قد يكون ذلك ويثبت أن الإسلام هو الذى هذب الأتراك وحال بينهم وبين طرد المسيحيين من ديارهم ؛ فلماذا يا ليت شعرى لم يهذب الإنجيل أقوام أوربا ولم يمنع البابا اسكندر السادس وأساقفة الكنيسة فى أسبانيا ، والملك فرديناند، والملكة ايزابيلا ، وغيرهم من الملوك المشهورين بالكثلكة من نصب ديوان التفتيش وارتكاب تلك الفظائع فى العرب واليهود ممن بقى على ديانته سراً إلى أن أجلوهم عن ذلك القطر الذى استوطنه العرب (المسلمون) زهاء 820 سنة ، مع أن الإنجيل كما لا يخفى لا يجيز شيئًا من هذه الأفعال ، بل يوصى الناس بحب الأعداء ، فكيف تتآلف مع شريعة الإنجيل التى هذا مبلغ وداعتها وتسامحها قضية تحريق الناس بالنار لأجل عقائدهم (كما يفعل الصرب الأرثوذكس الآن بأهل كوسوفا ومن قبل بأهل البوسنة والهرسك) .

مسألة أخرى : ماذا فعلت طلائع الاستعمار الأوربى فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ببنى الإنسان فى مستعمراتهم بأفريقية الوسطى وشمال أفريقية والكونغو والسودان المصرى ، وما فعلوه فى الهند وآسيا ، بل ما وقع منهم فى الروملى أثناء الحرب البلقانية حينما ذبح البلقانيون مسلمى الروملى واستباحوا حرمهم(1) .

.. وللحديث بقية إنشاء الله ..

* * *

---

(1) حاضر العالم الإسلامى ، لوتروب استودارد ، ترجمة عجاج نويهض وعلق على حواشيه شكيب أرسلان ، دار الفكر ، بيروت 1973 م ، ج 1 ، ص 238 - 239.

مراجع خاصة بنفس الموضوع

المراجع العربية :

(1) الفتوح الإسلامية عبر العصور ، عبد العزيز العمرى ، نشر دار أشبيلية ، ط 11 ، الرياض 1418 .

(2) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير ، أبى الحسن على بن محمد الجزرى (555 - 630 هـ) ، مطابع الشعب ، القاهرة .

(3) السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكرم ضياء العمرى ، مكتبة العبيكان ، الرياض 1416 .

(4) البداية والنهاية فى التاريخ ، إسماعيل بن كثير ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

(5) الكامل فى التاريخ ، أبو الحسن عز الدين على بن الأثير (ت 630 هـ) ، دار الكتاب العربى - بيروت .

(6) ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب ، د. إبراهيم أحمد

العدوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1963 .

(7) الكنيسة القبطية والروح القومية فى مصر فى العصر البيزنطى، عزيز سوريال عطية ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، مايو 1995 .

(8) بدائع الزهور في وقائع الدهور ، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ، ج 1 ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة 1402 هـ .

(9) أوروبا العصور الوسطى ، سعيد عاشور .

(10) تاريخ عصر النبوة والخلافة الراشدة ، د. رجب عبد الحليم، دار النهضة العربية ، القاهرة .

(11) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د. أكرم ضياء العمرى ، ط 2 ، الرياض 1405 .

(12) تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، ط 9 ، دار المعارف ، القاهرة .

(13) تاريخ (الكنيسة) ، لوريمر (جون) ، ج3 ، القاهرة 1982، ص 46 - 47 .

(14) تاريخ الكيسة القبطية ، منسى يوحنا ، القاهرة 1983 .

(15) تاريخ الرهبانية والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم ، رؤوف حبيب ، القاهرة ، 1978 .

(16) تاريخ عمرو بن العاص ، حسن إبراهيم حسن .

(17) تاريخ مصر من الفتح العربى إلى أن دخلها الفاطميون ، موسوعة تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الثانى ، حسين مؤنس .

(18) تكون الشعب المصرى الجديد ، جمال الدين الشهاب ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، العدد 41 لسنة 1960 .

(19) حسن المحاضرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة .

(20) دراسات فى تاريخ العرب ، تاريخ الدولة العربية ، السيد عبد العزيز سالم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية .

(21) رؤية فى سقوط الامبراطورية الرومانية ، محمود الحويرى ، القاهرة 1993 ، ص 62 ، 78 - 80 .

(22) سلسلة أعلام العرب ، الكندى المؤرخ أبو عمر محمد بن

يوسف المصرى وكتاب الولاة والقضاة ، د. حسن أحمد محمود ، الدار المصرية للتأليف والنشر .

(23) شخصية مصر ، جمال حمدان ، ج 2 ، ص 625 .

(24) عمرو بن العاص بين يدى التاريخ ، عبد الخالق سيد أبو رابية ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة ، ط 1 ، 1408 .

(25) عمرو بن العاص ، بسام العسلى ، دار النفائس ، بيروت، ط 2 ، 1399 .

(26) عمرو بن العاص ، عباس محمود العقاد ، دار الهلال ، القاهرة .

(27) فتوح البلدان ، القسم الأول ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية .

(28) فتح العرب لمصر ، الفرد ج بتلر ، مكتبة مدبولى ، القاهرة، 1400 .

(29) قادة فتح الشام ومصر ، لواء ركن محمود شيت خطاب ، دار الفكر ، بيروت .

(30) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ،

تقى الدين أحـمـد بـن على المقـريزى (ت 845/ 1441 م) (الخطط المقريزية) ، متبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

(31) كفـاحنا ضد الغزاة ، عـبد اللطيف أحمـد على ، القاهرة 1957 ، ص 197 - 198 .

(32) من وحى القلم ، ص 36 : قصة اليمامتان ، نشر مهرجان القراءة ، القاهرة 1995 م .

(33) مصـر فى فجر الإسـلام ، سيـدة إسماعـيل كاشف ، دار الرائد العربى ، ط 3 ، بيروت 1406 .

(34) من دقلديانوس إلى دخول العرب ، مراد كـامل ، موسوعة تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الثاني ، ص 212 - 213 .

(35) مصر البيزنطية ، الباز العرينى ، ص 53 .

(36) مصر ورسالتها ، حسين مؤنس ، القاهرة 1980 .

(37) مصـر فى عصـر الولاة من الفتح العـربى إلى قيـام الدولة الطولونية ، سيدة إسماعيل كاشف ، القاهرة .

مصر الإسلامية وأهل الذمة ، نفس المؤلف ، القاهرة 1993 .

(38) مصر فى عهد البطالمة ، مـوسوعة تاريخ الحضارة المصرية ،

المجلد الثانى ، إبراهيم نصحي ، القاهـرة .

(39) مصر الإسلامية ، مصطفى طه بدر ، القاهرة 1959 .

(40) مصـر والشرق العـربى درع الإسلام ، إبراهيـم العدوى ، القاهرة 1984 .

مراجع المبحث الثانى الأجنبيـة التى تثبت سوء معاملة الروم (أبناء أوروبا) للأقباط :

1. Bell (H.I), Egypt and the Byzantian Empire in the Legacy of Egypt, p 345.

2. Diehl (Charles) Histoire de L'Emprie Byzantine, (Paris, 1920), pp. 11 -12.

3. Frend (W.H.C), in Relation between East and West in the Middle Ages, ed. by Derek Baker (London, 1972), pp. 17 - 18.

4. Levtchenco (H.V.), Byzance des Origines A 1453, (Paris, 1949), pp. 36-37.

5. Milne (Grafton, M.A.), A History of Egypt under Ro-

man Rule, Vol. V. (London, 1924), pp. 69-70.

6. Munier (H.), L' Egypte Byzantine de Diocletien a La Conquéte Arabe (Le Caire, 1932), p. 9.

7. Mango (Cyril) Byzantium, the Empire of the new Rome (London, 1980), p. 95.

8. Ostrogorsky (George), History of the Byzantine State (U.S.A, 1969).

9. Hetti (Philip K.), History of the Arabs, London, p. 1972, Lacy oleary, The Coptic Church and Egyptian Monasticism in the Legacy of Egypt.

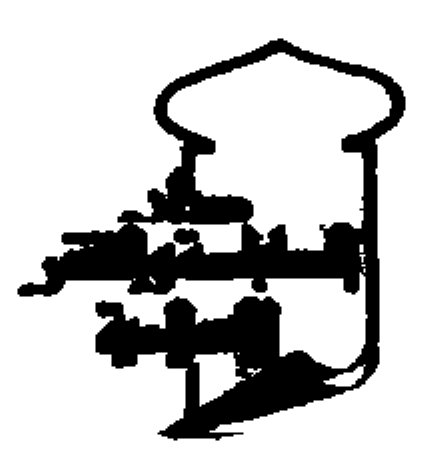
* * *

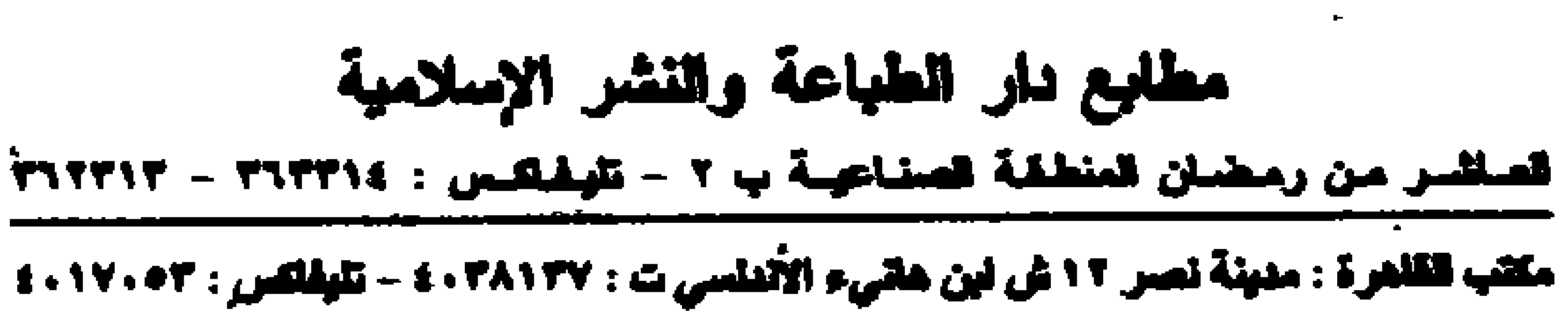
الفهرست

رقم الإيداع ١٦٩٤٣ / ٩٩

الترقيم الدولى I.S.B.N.

977- 265 – 272 – 2

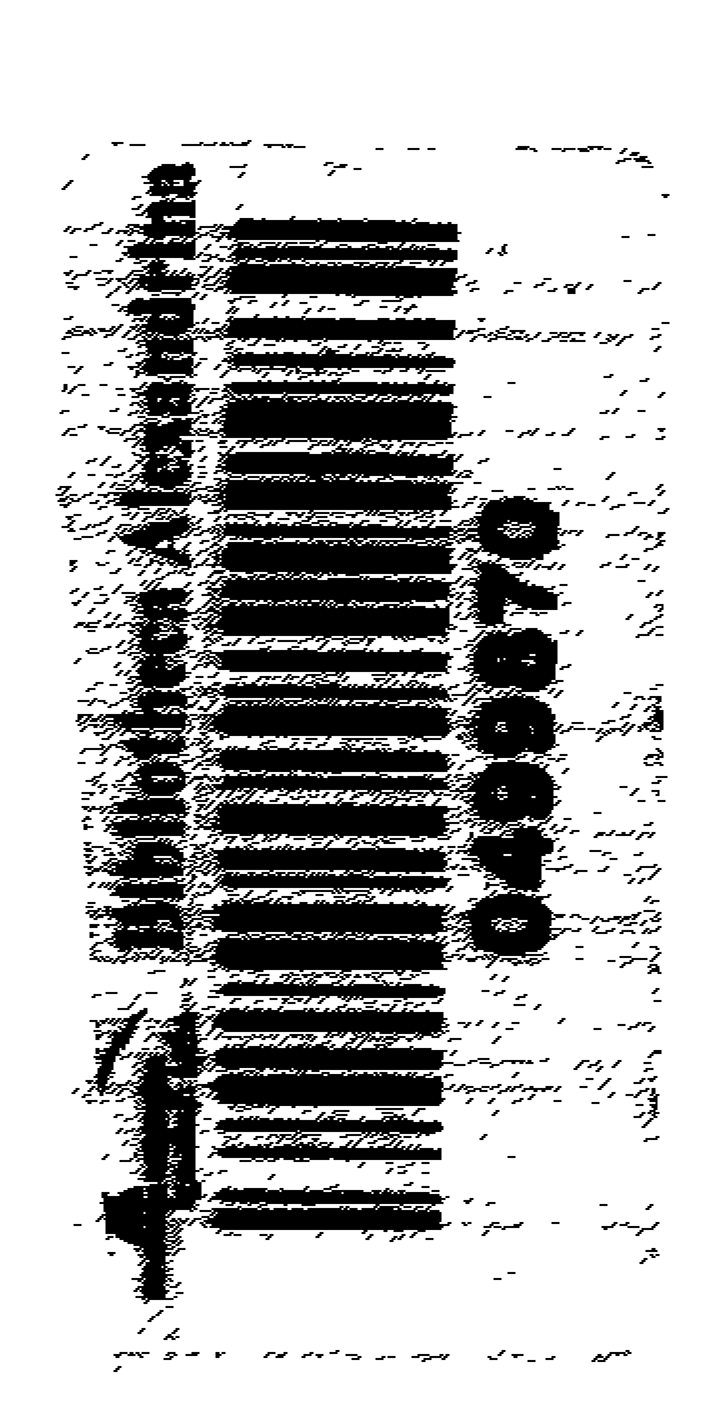




مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣



دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت . ٣٩١١٩٦١ - ٠٥٧٢ . ٣٩ ص ب ١٦٣٦